

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية وآدابها

سعادة السيّد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللّغة العربيّة

السّلام عليكم:

أضع بين أيديكم البحث المقترح لمؤتمر المجمع السنويّ، عنوانه:

(تدريس اللسانيات الحديثة في قسم اللغة العربيّة في جامعة دمشق - المشكلات والمقترحات)

المحور الثاني: (مناهج اللغة العربية في التعليم العام والجامعي)

إعداد: د. أسماء ياسين رزق (دكتوراه في اللسانيات الحديثة، جامعة دمشق، قسم اللغة العربية)

.....

هذا البحث يصف واقع تدريس اللسانيات في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق من عام

٢٠٠٧ إلى يومنا هذا، أي منذ أن رأّت عيناى وضع هذا التدريس أول مرة.

يضع يده على المشكلات، وينظر في أسبابها، ويبين أهميّة علاجها منطلقاً من أهميّة دراسة

اللسانيات وأهدافها في خدمة العربية وأعلامها الأوائل، ليدلف بعد ذلك إلى المقترحات

والحلول في هذا المجال.

فلينظر أهل الاختصاص وليحكموا في هذا الأمر:

يفرغ طالب الدراسات العليا من مرحلة الماجستير التمهيدي راغباً في تسجيل رسالة علميّة في

اللسانيات الحديثة، فلا يجد في ذهنه من المادة الخام ما يؤهّله لذلك، ولا يلقى في مخزونه

الفكريّ أي موضوع، ولا أيّ فكرة ينطلق منها للبحث العلميّ اللساني، وإن وجد تراه مضطراً أن يبدأ في هذا المجال من الصفر أو ممّا تحت الصفر، لتقوم لبحثه قائمة، وليعي خباياه ودقائقه التي لا يُعْتَفَرُ لباحث جهلها.

ومردُّ ذلك إلى أنّ جوهر اللسانيّات معيَّبٌ عنه تماماً، ومفهومها ومصطلحاتها بعيدة منه كلّ البعد، ومقرّراتها الجامعيّة التي صارت في جعبته من الفقر والضحالة كمّاً وكيفاً ما لا يرقى به إلى تفتيق أبحاث وفكر جديدة في مضمارها.

فهو مقرّرٌ واحدٌ لاثاني له في الدراسة الجامعية الدنيا، وآخر يتيم في سنة الدراسات العليا، في حين أنّ نظراء هذا الطالب في أقسام اللغات الأخرى في كليّة الآداب نفسها يتناولون سبعة مقرّرات لهذه المادة، أي تراها تصحبهم سبعة فصول دراسيّة من حياتهم العلميّة الجامعيّة.

فأتى لهذا الطالب أن يتجاوز مداخل اللسانيّات ومبادئها الأولى ليأتي على تفاصيلها ومباحثها الغنيّة المتنوّعة من علم الأصوات (Phonologie) إلى علم الصرف (Morphologie) إلى علم التركيب (Syntaxe) إلى علم الدلالة (Symantic)؟!؛

وإذا جئت إلى من يتولّى تدريس هذه المادّة من الأساتذة لا تجد بينهم من يحمل شهادة التخصّص الدقيق في اللسانيّات إلّا من وراه التراب أو غيَّبته الأسفار، إمّا يدرّسها أصحاب تخصّص لغويّ آخر، فلا يكادون يقدّمون للطالب في الدراسات العليا إلّا مداخل اللسانيّات وتاريخها فضلاً عن طالب الدراسات الدنيا، وهذا ليس تقصيراً منهم بل هو أمرٌ طبيعيّ، لأنّ غير المتخصّص من غير المعقول أن يُقدّم ما يُقدّمه المتخصّص، وقس على ذلك مجال الطبّ؛ فإنّك تلقى مبتغاك عند الطبيب المختصّ لا عند غيره؛ وإلّا فلمّ التخصّص أصلاً؟!؛

فكيف لهذا الطالب أن يضيف جديداً في رسالته العلميّة وهو لم يعِ جوهر هذا الفنّ؟

إنّ واقع تدريس اللسانيّات في قسم اللغة العربيّة يفتقر إلى أمور كثيرة، منها:

- ١- التقنيات الحديثة (كالتى تحتاجها اللسانيات الحاسوبية وعلم الصوتيات).
 - ٢- ربط الدرس الحديث بالدّرس القديم وعرضه عليه.
 - ٣- دراسة المادّة ومصطلحاتها بلغتها الأصليّة التي وُضعت بها، وذلك في مرحلة الدّراسات العليا على الأقلّ.
 - ٤- توفير المناشط المناسبة، ورفد المكتبات بالأدوات البحثيّة والمراجع.
 - ٥- الأساتذة المتمكّنون من المجال اللغويّ القديم والحديث على حدّ سواء.
- ولعلّ قائلاً يقول: وما حاجة الطالب المتخصّص في قسم اللغة العربيّة إلى هذه العلوم الغربيّة، وألا يكفي غيضٌ من فيض منها؟
- والجواب أنّك إذا نظرت في ميدان الأدب تجد المناهج تجبر الطالب على دراسة آداب الغربيين ومقارنتها، فلماذا نضنّ عليه في ميدان اللغة بدراسة النظريات اللغوية الحديثة؟

والجواب أيضاً أنّنا إن أحسنّا تقبّل هذا الفنّ من العلوم جنينا الكثير من الثمار:

- ١- الحفظ والتفهم: إنّ بعض النظريّات اللسانية الحديثة إن أحسنّا تطبيقها عند تعليم اللغة أو قواعد النّحو تسهّل حفظ الطالب وفهمه للمادّة التي بين يديه، ومثال ذلك دور النّبر والتنغيم (Intonation) في الحفظ والتفهم، وقد أعانني الله على كتابة بحث في ذلك نشرته مجلّة التراث الكريمة.

ذكرت فيه أنّه في عام ٢٠١٢ أثبتت باحثة لغويّة أمريكيّة أنّ المحفوظات التي حُزّنت في نصف المخ الأيمن أبعد من النسيان؛ لأنّه مسؤول عن الخيال والعاطفة لا عن المنطق، وفيه تُحزّن الأغاني والأناشيد، وهذا ما يجعل تذكّرنا لأناشيد حفظناها في الصغر أبلغ من تذكّرنا للمعلومات النظرية السردية.

فهل لهذا صلة بما فطن له العلماء العرب الأوائل حين صاغوا معظم العلوم في منظومات يحفظها طالب العلم، كألفية ابن مالك وغيرها من المتون؟

فلَمَن السبق في ابتكار أهميّة الأداء والتنغيم، للعرب أم للغربيين اليوم؟ ولم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن"؟ وهل لهذا دور في يسر حفظ القرآن الكريم، ومعجزة حفظه حتى من الأطفال ومن غير الناطقين بالعربيّة؟

ومن أمثلة إمكانيّة الإفادة ممّا في النظريّات تلك أيضاً توظيف نظريّة "تشومسكي" في تقديم قاعدة نحويّة للطالب غير العربيّ الذي لا يمكنه اعتماد المعنى وحده في تمييز (من) الشرطيّة حين تعرّب مبتدأ منها حين تُعرّب مفعولاً، ولا يكفي ضبط الفعل بعدها من حيث اللزوم والتعدّي، فمن الأفعال ما هو متعدّد لم يستوفِ مفعوله غير أنّ "من" قبله لا تُعرّب مفعولاً به، مثال: "من يدرس ينجح"!

فالقاعدة النحوية التعليميّة عندنا تقول: "من" الشرطية تُعرّب مفعولاً به إذا كان الفعل بعدها متعدّياً لم يستوفِ مفعوله، وفي قولنا: "من يدرس ينجح" تحقّقت الشروط، فلم لا يجوز إعراب من مفعولاً؟

٢- ترسيخ دور العرب وتعزيز صلة الطالب بتراث آباءه وأجداده؛ فالدّارس للنظريّات الحديثة إذا أقبل عليها وقد نهل من التراث العربيّ ووعاه يُلفي تشابهاً كبيراً إلى حدّ التطابق بين ما ابتكره الغربيّون اليوم من نظريّات رأوا فيها ميلاد فجر لغويّ جديد يبشّر بالخلاص لمشكلاتهم وبين ما عليه اللغويّون العرب القدماء منذ قرون بعيدة، ولا فرق بين الوجهتين إلا من

حيث القلب والإطار واللغة والأسلوب ومنهج العرض، وفي هذا بيان لمكانة التراث وأهمية الإقبال عليه بتؤدة وريث وإنصاف وحق.

٣- تقديم التراث للآخر بقلب جديد، فنحن إن أحسنّا توظيف تراثنا جدّدنا ما عندنا من قديم، وقدّمناه للآخر بصورة تلائم روح العصر، وتحاكي عجلة سرعته وتقنياته، وفي ذلك تقديم خدمة جليّة للتراث، وردّ الحقوق لأصحابها، فينبغي تعزيز هذا الأمر في المقرر اللساني؛ حتى يكون غرضاً رئيسياً من أغراضه.

وذلك على غرار ما فعل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله رحمة واسعة، ذلك اللسانيّ القّدّ الذي نظر إلى التراث على أنّه القَبَس الوضيء الذي ينبغي أن يغتني منه أصحاب كلّ نظريّة لغويّة ستأتي لا العكس.

جعلنا الله خير حَلَف لهذا السّلف العيور على الأمتة وجواهر تراثها، وهذا ما حنّني عليه في أطروحتي للدكتوراه أستاذي الفاضل أ.د. محمّد موعّد رعاه الله وأدام فضله.

ومن ههنا ندلف إلى مقترحات البحث:

- ١- الإفادة من اللسانيّات في خدمة العلوم الأخرى كاللسانيّات الحاسوبية.
- ٢- الإفادة من اللسانيّات في تعليم اللغة لغير الناطقين بها.
- ٣- تكليف الأساتذة المختصّين بتدريس هذه المادّة، واختيارهم ممّن هم على درجة من فهم القديم والإخلاص للعربيّة وإنصاف أربابها الأوائل، بحيث إن بدا لواحد منهم أن ينهض بمهمّة مقابلة نظريّة لسانيّة على التراث القديم كان أهلاً لحمل تلك المسؤوليّة الجسيمة، ووعى نصوص العرب الأوائل، وتمرّس بفهم كلامهم على

وجهه، وأحسن فقه مصطلحاتهم وأساليبهم، فلا يظلم ولا يبخس الناس أشياءهم، ولا يُطلق أحكاماً ذوقية عاجلة، ويخبط خبط عشواء.

٤ - متابعة الأستاذ المدرّس أحدث التطورات اللغوية النظرية والتطبيقية في العالم، وعدم تخنيطه نفسه في منهاج ثابت على مرّ الدهر، فميزة هذا العلم أنّه متجدّد متطوّر متغيّر، الجديد منه ينسخ القديم أو بعضه، فمثلاً في ميدان علم التركيب تجد كتب اللسانيّات العربيّة والمترجمة ككتب د. ميشال زكريّا قد ولى زمانها لأنّ طور التوليد والتحويل قد انتهى ونُسِخ بميلاد طور جديد لتلك النظرية التشومسكيّة، ومرحلة الانتقال من البنية السطحيّة إلى البنية العميقة قد ولّت لتخلفها مرحلة أخرى يتولّى فيها المشجّر الركيّ وقاعدة (move a) : انقل ألفا، مهمّة معرفة بنية الكلام الحقيقيّة.

وتجد ذلك في نظرية "تشومسكي" ١٩٨١ التي جسّدها كتابه (Lectures on Government and Binding) محاضرات في العمل والإحالة، أو محاضرات في الحكم والربط حسب اختلاف الترجمة، والأولى الترجمة الأولى، فمضمون النظرية إن قوبل على مصطلحات العربيّة فهو في العمل والإحالة، لا في الحكم والربط؛ لأنّ مفهوم الربط عند علماء العربيّة الأوائل يختلف عن مفهوم الإحالة.

وتجد تطورات النظرية الأحدث أيضاً في نظرية "تشومسكي" الأخيرة ١٩٩٥ (The Minimalist Program) برنامج الحد الأدنى، ولعلّ الترجمة الأدقّ: البرنامج الأكثر إيجازاً.

ومثل ذلك يُقال في محاضرات "فرديناند ده سوسير" العائمة التي لم تعد تقدّم شيئاً يفي بلبورة فكر الطالب اللسانيّ الحديث بحيث يتوافق مع ما يعجّب به العالم الغربيّ اليوم من نظريات حديثة متلاحقة متنافسة.

وهذا التطور كله بخلاف أصول العربية العتاق الثقال الراسخة من زمن الخليل وسيبويه إلى ابن مالك والسيوطي، ثم إلى اليوم.

٥- تأليف مقرر خاص بدرس المصطلح اللساني، مع وضع معجم خاص للمصطلحات اللسانية يُضم إلى هذا المقرر، يحوي المصطلحات اللسانية الأجنبية الأكثر دوراناً، ويبيّن مقابله في العربية، على الطالب حفظه ووعيه، وهذا يُثبت قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم والفنون الحديثة.

٦- توظيف حلقات البحث في هذه المادة لتتجاوز المبادئ الأساسية والتراجم الشخصية اللسانية، فتتوفر على جوهر اللسانيات وأحدث ما قيل فيها وما أُنشئ من نظريات، مع مقابلتها على التراث وعدم القطيعة بين المجالين اللغويين القديم والحديث.

٧- أن نرقى باللسانيات في مقررات قسم اللغة العربية في جامعة دمشق كمّاً وكيفاً، فعلى الأقل يكون لدينا ثلاثة فصول دراسية تشتمل على اللسانيات، أحدها للمبادئ والمداخل العامة النظرية، والثاني للتعرف على النظريات اللسانية قديمها وحديثها وتفصيل تطوراتها، والثالث لتطبيق تلك النظريات ومقابلتها على العربية ومعرفة موقع التراث العربي منها.

٨- تحفيز ذهن الطالب -وخصوصاً في مقرر اللسانيات للدراسات العليا- على وضع نظريات لغوية ميسرة أولية على غرار ما يفعله الغربيون كل يوم، فهم يتطلعون دائماً لبناء نظريات جديدة تجد حلولاً للمشكلات اللغوية النظرية والتطبيقية، ومن ذلك نظرية "كاين"، ونظرية "لاسنيك" و"سايطو"، ونظرية مشوح التي وضعتها أستاذتي الدكتورة لبانة ١٩٨٦ في أطروحتها لنيل الدكتوراه، ونظريات اللاطي لأستاذي د. يوحنا التي وضعها في أطروحته ثم في أبحاثه.

فمثلاً أقول لطلّابي عند تدريسهم هذه المادّة في مجال علم التركيب (syntaxe) من منكم يستطيع أن يأتي بقاعدة تضبط إعراب "من" الشرطية والاستفهاميّة، فتميّز المفعول منها من المبتدأ دون اتّكاء كلّي على المعنى، بحيث لا يعوز الطالب غير العربيّ إلّا أن يطبّق القاعدة آلياً ليُعرب الإعراب الصائب؟

وقس على ذلك سائر ما يعتور المعرب من مشكلات عويصة الفيصلُ فيها المعنى، وغير العربيّ لم يع المعنى حقّ الوعي، فهل يُحرّم من هذا العلم، أم يجد في نظريّة لغوية حديثة بعض السلوان وبعض التيسير!؟!

٩- توفّر المكتبات الأكاديمية الخادمة لطلبة الدراسات العليا والدنيا على أحدث الكتب والطبعات العلميّة لهذا الفنّ بلغتها الأصليّة والمترجمة.

١٠- حتّى طالب اللسانيّات على السير باللغة الأصليّة التي وُضعت بها النّظريّة اللسانيّة جنباً إلى جنب مع اللغة العربيّة، لئلا يقع في أخطاء الترجمة وعثراتها، ولئلا يظلم أصحاب النظرية اللغوية الحديثة، فيفهم كلامهم على غير وجهه.

١١- فصل الفلسفة الكلاميّة والنظريّات اللغويّة عن تطبيقاتها وميادين العمل بها عند تدريس الطالب، فمن كتب اللسانيّات المعروفة ما تراه يعجّج بالفسفسطة والكلام النظري والمنطق الذي يلتف ويدور على نفسه، ويستعصي على الأفهام، بحجة الإبستمولوجيا والحاجة المعرفيّة، فمن الأجدر بالمدرس أن يفصل هذا عن المادّة التطبيقية.

١٢- تسليح الطالب بالوعي الحضاريّ القوميّ الذي يمكنه من الولوج في أبواب الحداثة دون الدوس على أصوله التراثيّة وجذور بني قومه.

وقد يسأل سائل؟ ما الخطّة البديلة التي تفي بالعرض، وتحقّق الهدف المرام؟

ولذا أقدم له هذه الخطّة الدراسيّة المقترحة لمقرّرات التعليم الجامعي:

وهي خطة تقوم على ثلاث فصول دراسية على الأقل في الدراسة الجامعية الدنيا، ومقرّر للدراسات العليا.

تضمّ الدراسة الجامعية وفق الخطة المقرّرات الثلاثة الآتية، وهي:

- مقرّر حول مبادئ اللسانيات وتاريخها، وأبرز أعلامها ومناهجها.
- مقرّر يلمّ بفروع الدرس اللساني، يعرّف بها وبأبرز أعلامها، ويقدم لمحة موجزة إليها (الصوتيات، علم الصرف، علم التركيب، علم الدلالة).
- مقرّر عن المصطلحات اللسانية وإشكالية الترجمة فيها، مع معجم لساني للطلاب.

وتنهض المادة في الدراسات العليا على ما يلي:

- مقرّر عن أحدث النظريات اللسانية مع مقابلتها على التراث العربيّ.
- حلقة البحث في هذا المقرّر عن نقد تلك النظريات، ما لها؟ وما عليها؟ وكيف يُمكن الاستفادة منها في تطوير تعليم العربية؟ وما موقع التراث العربيّ منها، هل سبق إلى شيء منها؟ وكيف كان تناول كلّ من الفريقين العربيّ القديم والغربيّ الحديث للمادة التي تشتمل عليها النظرية؟

وأخيراً:

إنّ الانفتاح المعرفيّ نعمة لا نقمة، وما كان علماً ليحطّ من شأن قوم، فلو اطّلع الباحث على علوم الغرب وأحسن توظيفها ما كان مجحفاً ولا مقصراً في حقّ كنوز التراث الذي أورثه إياه آباؤه، بل قد يكون مسدياً خدمة جلييلة لهم بإطلاع العالم على موروثهم الدرّيّ اللامع الأصيل، فكان في ذلك تجديد الريادة لهم ولعلومهم؛ فبالإنفاق يزكو العلم.

فلنهنيئاً للطلاب المقرّر الجامعيّ الذي يزيده علماً وفهماً بواقعه المعاصر وبميراثه الأصيل على السواء.

دمشق ١٠/١٠/٢٠١٩.